عمر بن عبد العزيز

الخليفة الصوفى

للاستاذ محمود شلبى

فى المدينة .. فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نهل عمر ابن عبد العزيز العلم من الصحابة والتابعين ، وظهر عليه مخايل النجابة من صغره ، فكان يجلس الى شيوخها ، ويهجر ملاعب شبابها .

وفى سنة ست وثمانين من الهجرة مات والده عبد العزيز بن مروان ، فأراد عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، أن يكرمه بعد وفاة أبيه ، فاستقدمه من المدينة ، الا أن الشاب الصالح خرج منها وهو كاره لذلك .

لقد كان يفضل مجالس العلماء والصالحين بالمدينة على مجالس الخليفة والطامعين .

وفى مجلس أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان بدمشق تقابل عمر بن عبد العزيز مع عمه الخليفة عبد الملك .

وأنبأه الخليفة انه استقدمه ليجعله مستشارا له بدلا من أبيه عبد العزيز رحمه الله ..

وبالغ عمه فى اكرامه .. وزوجه بنته فاطمة بنت عبد الملك .

وهى التى يقول فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدها

أخت الخلائف والخليفة زوجها

فهى فاطمة بنت الخليفة عبد الملك بن مروان . وجدها هو مروان أمير المؤمنين كذلك ..

وأعجب من ذلك .. أن يكون بعد ذلك الوليد بن عبد الملك هو الخليفة بعد وفاة أبيه عبد الملك . والوليد هذا هو أخوها ..

والأعجب من هذا كله أن تصير الخلافة الى زوجها عمر بن عبد العزيز . ولذلك قالوا : ان هذه الخصائص لم تجتمع لاحد سواها ..

وفى يوم الجمعة فى النصف من شوال من عام [illegible] سنة سبع

وثمانين من الهجرة - مات أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وولى من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك ، فكان عمر بن عبد العزيز منه فى مقام من الثقة التى كان عليها فى حياة أبيه ، بل ان الوليد زادت ثقته بابن عمه عمر أكثر من أبيه ..

وآية ذلك أنه ما جاءت سنة سبع وثمانين من الهجرة ، حتى كان عمر ابن عبد العزيز واليا على المدينة ومكة والطائف ، من قبل الوليد بن عبد الملك ..

ونزل عمر بن عبد العزيز بالمدينة ، فاجتمعت عليه القلوب ، وأحبه أهلها من حبات القلوب ..

فكان أول ما فعله ، أن جمع الناس وخطب فيهم : « انما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه أعوانا على الحق ، لا أريد أن أقطع أمرا الا برأيكم ، أو برأى من حضر منكم ، فان رأيتم أحدا يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لى ظلامة فأحرج الله على من بلغه ذلك الا بلغنى .

وفى سنة ثمان وثمانين من الهجرة ، بعث اليه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من دمشق ، يأمره بادخال حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يشترى ما فى تواصيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع . وجعل أهل المدينة يبنون المسجد من جديد ، وذلك بعد نقض ما كان من القديم .

وفى نفس الأيام ، من ذلك الزمان ، شرع الوليد بن عبد الملك فى بناء المسجد الأموى بدمشق .

وفى سنة ثمان وثمانين من الهجرة حج بالناس أجمعين عمر بن عبد العزيز .

وواجه الناس فى ذلك الموسم الحر وقلة الماء ... وأشرفوا على الهلاك ..

فلجأ عمر بن عبد العزيز الى الله .. وصلى بالناس فى التنعيم صلاة الاستسقاء .

فما أن وافى موكب الحجيج مكة ، حتى كان المطر قد غمر مكة ووديانها ..

لقد كان مستجاب الدعوة .. !

وفى سنة تسعين من الهجرة حج بالناس أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك . وأخلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس . وجاء الوليد ينظر بناية المسجد الحديثة وكان براعيه والى المدينة عمر بن عبد

العزيز وراع الخليفة أن وجد رجلا ـ لا يوجد سواه ـ يجلس الى القبلة ٠ وسأل الخليفة عنه ٠٠ وقال : من الشيخ ؟ ٠٠ أظنه سعيد بن المسيب ؟

فقال عمر : نعم ٠٠ وهو على خير حال ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر ٠

فقال الوليد : قد علمنا حاله ٠٠ انى ذاهب اليه بنفسى ٠ ووقف أمير المؤمنين عليه ٠٠ وسلم عليه ٠٠

فما تحرك سعيد ولا نظر اليه !!

ولكن رد تحيتـــه وقال : بخير والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ ٠٠

فأخذ الوليد وقال : هذا بقية الناس ٠٠

وفى سنة ثلاث وتسعين من الهجرة ، جعل العراقيون يفرون الى المدينة فرارا من ظلم الحجاج ، وخوفا من نزواته ٠

وجاءوا الى عمر بن عبد العزيز والى المدينة يهرعون ، يستجيرون برحمته ويلوذون بعدله ٠٠

فأرسل عمر الى الوليد يشير عليه بعزل الحجاج ، ليستريح الناس من ظلمه ٠٠

فبعث الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق الى أمير المؤمنين يقـــول : بلغنى أن عمر بن عبد العزيز بعث اليك يحرضك على عزلى ، وأحب أن أقول لك ، ان من عندى من العراق وأهل الشقاق قد حلوا عن العـــراق ولحقوا بالمدينة ومكة ، وهذا هو أول الوهن الذى يدخل الى ملك بنى أمية ٠ فبعث اليه الوليد ليشير عليه بمن يتولى المدينة ومكة ٠

وفى نفس العام ـ فى شعبان ـ عزل الوليد عمر بن عبد العـــزيز عن الحجاز والمدينة ٠

وكان هذا هو جزاء نصحه لله ورسوله !

وخرج منها وهو يبكى ٠٠

وسئل فى ذلك فقال : أخشى أن أكون ممن تقئه المدينة ٠ يعنى بذلك الحديث النبوى : « إن هذه المدينة تنفى خبثها » ـ أو كما قال ٠

وفى النصف من جمادى الآخرة ـ سنة مات وتسعين من الهجرة ـ مات الوليد بن عبد الملك ، وكانت خلافته تسع سنين وسبعة أشـــهر ، وولى بعده عمر بن عبد العزيز ٠٠

وبويع سليمان بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى فيه الوليد وهو بالرملة .. فاتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشارا ووزيرا .

وفى سنة سبع وتسعين من الهجرة ، حج سليمان بالناس ، ومعه ابن عمه عمر بن عبد العزيز .. .

وعلى عرفات .. قال سليمان لعمر بن عبد العزيز : ألا ترى هذا الخلق الذى لا يحصى عددهم الا الله ؟ ولا يسع رزقهم غيره ؟

فقال عمر : يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله .. .

فبكى سليمان بكاء شديدا وقال : بالله أستعين .

وأثناء عودتهما من الحج ، أرعد الجو وأبرق ، واشتد الظلام وعصفت الريح ، فجعل عمر يضحك ويضحك ، بينما سليمان ومن معه فى كرب شديد .. !

فقال سليمان : ما يضحكك يا عمر ؟

فقال عمر : يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمته فيها شدائد ما ترى ، فكيف بآثار سخطه وغضبه ؟

وتلك شنشنة يعرفها العارفون بالله ، وأحوال يتذوقها الواصلون .

ولقد كان قلب عمر بن العزيز صوفيا خالصا لله ، يرى ما لا يرون ، ويتذوق ما لا يتذوقون ، ويطرب لأشياء هم منها يحزنون ، ويحزن لأشياء هم لها يطربون .

ذلك أن الصوفى أسلم قلبه لله ، وجعل هواه تبعا لهوى مولاه .

فلا عجب اذا ضحك عمر بينما سخط سليمان وصحبه . ذلك أن مقاييس عمر ونظرته الى الأمور غير مقاييس هؤلاء ونظرتهم اليها .

وفى العدد القادم نقدم أروع صفحات الرجل فى التصوف والعدل بين الناس .. .

محمود شلبى